حدث فى تلك الليلة جـ 3

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنوده الثالث

و إندهش الملاك , و كأنما سمع هذا الرأى لأول مرة , فقال فى حدة :
مواهب ! و من قال أنك بدون المواهب لا تستطيع أن تخدم , هناك يا أخى ما يسمونه العظة الصامتة , لم يكن مطلوبا منك أن تكون واعظا و إنما أن تكون عظة ... ينظر الناس إلى وجهك فيتعلمون الوداعة و البشاشة و البساطة , و يسمعون حديثك فيتعلمون الطهارة و الصدق و الأمانة , و يعاملونك فيرون فيك التسامح و الإخلاص و التضحية و محبة الآخرين فيحبوك و يقلدوك و يصيروا بواسطتك أتقياء دون أن تعظ أو تقف على منبر , ثم هناك صلاتك من أجلهم و قد تجدى صلاتك أكثر من عظاتك .
و للمرة الرابعة تولانى الخجل و الإرتباك , فلم أحر جوابا , و إستطرد الملاك فى قوله :
و كان يجب عليك أيضا ـ كعظة صامتة ـ أن تبتعد عن العثرات فلا تتصرف تصرفا مهما كان بريئا فى مظهره ان كان يفهمه الآخرون على غير حقيقته فيعثرهم , و هكذا تكون بلا لوم أمام الله و الناس كما يقول الكتاب: جاعلا أمام عينيك كخادم قول بولس الرسول " كل الأشياء تحل لى, لكن ليس كل الأشياء توافق " (1 كو 6 :12) .

و تأملت حياتى فوجدت أننى فى أحوال كثيرة جعلت الأخرين يخطئون و لو عن غير قصد . و قطع على الملاك حبل تأملاتى قائلا فى رفق:
و لكن ليس هذا هو كل شئ . اننى أشفق عليك كثيرا يا صديقى الانسان . و قد كنت أشفق عليك بالأكثر أثناء وجودك فى العالم , و خاصة فى تلك اللحظات التى كنت تتألم فيها من (البر الذاتى) . كنت تنظر الى خدماتك الكثيرة فتحسب أنك مثال للخدمة بينما لم تكن محسوبا خادما على الإطلاق . و لعلك قد اقترفت أخطاء كثيرة أخرى , منها أن خدمتك كانت خدمة رسميات , فقد كنت تذهب الى مدارس الأحد كعادة أسبوعية , و كعادة أيضا كنت تصلى بالأولاد , و كنت ترصد الغياب و الحضور , فتعطى للمواظب جائزة , و تهمل الغائب كأنك غير مسئول عنه . و هكذا خلت خدمتك من الروح و من المحبة , و لم تستطع أن تصل الى أعماق قلوب الأولاد , لأن كلماتك و تصرفاتك لم تكن خارجة من أعماق قلبك . و لم يكن فى الترتيل الذى تعلمهم اياه روح البهجة , و لم تكن فى صلاتك معهم روح الانسحاق أو التأمل أو التضرع . و لم تكن فى أوامرك لهم روح المحبة . و هكذا لم تحدث فى خدمتك تأثيرا , و كذلك كنت فى عظاتك فى الكنائس أيضا تعظ لأن الكاهن طلب منك ذلك فوعدته و عليك أن تنفذ ,

فكنت تهتم بتقسيم الموضوع و تنسيقه , و اخراجه فى صورة تجذب الاعجاب أكثر مما تهتم بخلاص النفوس , و كان صوتك رغم علوه و ايقاعه و وضوحه باردا خاليا من الحياة , و كنت تبتهج ـ و لو داخليا فقط ـ بمن يقرظ موضوعك دون أن تهتم هل جدد الموضوع حياة ذلك الشخص أم لا . أ لا ترى معى يا صديقى أنك كنت تخدم نفسك و لم تكن تخدم الله و لا الناس . و لعل من دلائل ذلك أيضا أنك كنت ترحب بالخدمة فى الكنائس الكبيرة المشهورة الوافرة العدد دون الكنائس الصغيرة غير المعروفة كثيرا .

ثم أنه نقص من خدمتك فى هذه الناحية أمران هما : حب الخدمة و حب المخدومين ... أما عن حب الخدمة فيتجلى فى قول السيد المسيح " طوبى للجياع و العطاش الى البر " فهل كنت جوعانا و عطشانا الى خلاص النفوس ؟ هل كنت طول الأسبوع تحلم بالساعة التى تقضيها وسط أولادك فى مدارس الأحد ؟ هل كنت تشعر بألم اذا غاب أحدهم , و بشوق كبير الى رؤية ذلك الغائب فلا تهدأ حتى تجده و تعيد عليه شرح الدرس ! ثم الأمر الآخر و هو حب المخدومين هل كنت تحب من تخدمهم , و تحبهم الى المنتهى مثلما كان السيد المسيح يحب تلاميذه ؟ هل كنت تعطف عليهم فتغمرهم بالحنان ؟ و هل أحبك تلاميذك أيضا ؟ أم كنت تقضى الوقت كله فى انتهارهم و معاقبتهم بالحرمان من الصور و الجوائز ؟ من قال لك ان تلك الطريقة صالحة لمعالجة الأولاد ؟ ان المحبة يا صديقى الانسان هى الدعامة الأولى للخدمة . ان لم تحب مخدوميك لا تستطيع أن تخدمهم , و ان لم يحبوك لا يمكن أن يستفيدوا منك .

و اطرقت فى خجل مرير و قد تكشفت لى حقيقتى بينما ... (يتبع)